

## المصطلح الحجاجي في الموروث البلاغي العربي القديم

الباحثة: صالحة عوادي

جامعة حسيبة بن بوعلبي الشلف- الجزائر

الملخص:

لا يختلف اثنان في أن البلاغة العربية من العلوم الجليلة التي ظلت متوارثة. على الرغم من اعتبار البعض لها أنها زخرف وتنميق الكلام، إلا أن المتصفح لأهم مصادها القديمة يكتشف أن الهدف منها هو الإقناع، فالغاية الرئيسية من البلاغة هي غاية حجاجية.

تهدف هذه الدراسة إلى التنبيق عن الجهاز المصطلحي - المصطلح الحجاجي- في ثنايا مدونات التراث البلاغي فتعرضنا لمفهوم الحجاج بين اللغة الاصطلاح، ثم عرجنا على عنصر الحجاج بين الرافد و المحدث، ثم علاقة الحجاج بالبلاغة، المصطلح الحجاجي عند أقطاب البلاغة العربي ((آلة البلاغة عند الجاحظ، بيان الحجة عند اسحاق بن وهب، السكاكي و المصطلح الحجاجي، الحجاج عند حازم القرطاجني)).

الكلمات المفتاحية: البلاغة - الاحتجاج- المجادلة-ليبيان- الاستدلال - الإقناع- الإقناع- الشاهد- الحجة - القياس .

إذا كانت اللغة هي وسيلة التواصل المثلى، فإن الحجاج هو شكل من أشكال هذا التواصل، وحالة من حالاته التي يسعى فيها المتكلم إلى التأثير على السامع بجلب انتباهه أولاً وإقناعه وكسب تأييده، أو إفحامه وغلبته... وانطلاقاً من هذا المفهوم يمكن أن ندرك سمات النص الحجاجي، فهو نص "يسعى إلى الإقناع، ويقدم البراهين التي تسمح لفكر ما أن يعلو على فكر أو غلبة موقف على موقف، أو رأي على رأي".<sup>(1)</sup> ولا شك أن الحجاج . مثله كمثل أي عملية تواصلية . لا يمكن أن يتم وتتحدد طبيعته إلا في ضوء المعطيات التي يتضمنها السياق أو المقام.

الحجاج من المنظور اللغوي و الاصطلاحي:

للحجاج موقع واضح في المدونة اللغوية، بدءاً بالمصنفات الأولى التي عملن على الحفر المعرفي لتحديد الجذر اللغوي ومعرفة دلالاته اللغوية .

يورد ابن المنظور في معجمه لسان العرب الحجاج فيقول: " الحجة، و البرهان، و قيل الحجة ما دافع به الخصم " و قال الأزهري : الحجة التي يكون بها الظفر عند الخصومة، و هو رجل مُحَجَّجٌ أي جدلٌ و التَّحَاجُّ التخاصم و جمع الحجة، حُجَّجٌ و حِجَاجٌ و حَاجَّهَ مُحَاجَّةً، و حِجَاجاً نازعه الحُجَّة، و حَجَّهَ يَحُجُّهُ حَجًّا غلبه على حجته، و في الحجة الدليل و البرهان، يقال حاججته فأنا مُحَاجٌّ و حَجِيجٌ فعيل بمعنى فاعل"<sup>2</sup>

أما ابن فارس في معجمه " مقاييس اللغة " فيورد الحجاج على النحو التالي: " يقال حَجَّجْتُ فلاناً فحَجَّجْتُهُ، أي غلبته بالحجة، وذلك يكون عند الخصومة و الجمع حُجَّجٌ و المصدر الحجاج "<sup>3</sup> .

و كذلك يقف الزمخشري على كلمة الحجاج في كتابه "أساس البلاغة" حيث قال: " حَجَّجَ: احتج على خصمه بِحِجَّةٍ شَهْبَاءٍ، و بِحُجَّجٍ شَهْبٍ، و حَاجَّ خصمه فحجَّه، و فلان خصمه مُحَجَّجٌ و كانت بينهما مُحَاجَّةٌ و مُلَاجَّةٌ "<sup>4</sup>

يتجلى من خلال هذه القراءة الواصفة لمصطلح الحجاج من خلال هذه المدونات اللغوية للعرب القدامى، أنهم يشتركون في نقطة واحدة؛ هي أن الحجاج يكون أثناء الخوار (المخاصمة) بين شخصين، حيث اعتبروا الحججة كوسيلة يلجأ المخاطب أو المرسل إلى استعمالها بغية التغلب على خصمه، وهذا ما ورد في التعريف الأول، " الحججة ما دوفع به الخصم"، و التعريف الثاني " حاججت فلان فحججته أي غلبته بالحجة...الخصومة"، و في التعريف الثالث: " احتج على خصمه بحجة شهباء"، ولهذا فالحججاج عند العرب القدامى يحمل طابع المنازعة والخصومة نظرا لما يحدث بين شخصين من محاوره.

وقد ورد لفظ الحججاج في القرآن الكريم في مواضع عديدة نورد بعضها قال تعالى ((هَا أَنْتُمْ هُوَ لِأَنَّ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)) الآية (66) <sup>5</sup>، وقال تعالى في مورد آخر: ((وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)) الآية (80) <sup>6</sup>، وقال تعالى: ((وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)) الآية (16) <sup>7</sup>، وقال تعالى: ((وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ)) الآية (47) <sup>8</sup>.

من خلال هذه الآيات يبدو جليا أن لفظ الحججاج بدا ظاهرا في القرآن الحكيم و كان يتموقع معناه في الجدل و المحورة و المخاصمة .

### الحجاج اصطلاحا:

فتذهب معظم التعاريف الاصطلاحية للحجاج على أنه عبارة عن علاقة تخاطبية بين المتكلم و السامع، وهذا الأخير له حق الاعتراض، و في هذا الصدد يعرفه طه عبد الرحمن: " هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يحق له الاعتراض عليها" <sup>9</sup>، و يتوسع طه عبد الرحمن في هذا المفهوم أكثر حين قارن الحججاج بالبرهان حيث أعطى للحجاج صفتين رئيسيتين فقال: " فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي اجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة و مطالب اختيارية و توجهات ظرفية، و يهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء عملية إنشاء موجهها بقدر الحاجة". يتمايز الحججاج بكونه ذا سمة جدلية تهدف إلى الإقناع من خلال صور استدلالية، فالحجاج أوسع من البرهان، ذلك أن الحججاج منحصر في قواعد المعرفة <sup>10</sup>، فالحجاج بعدا جوهريا في اللغة في ذاتها، مما ينتج عن ذلك أنه حيثما وجد خطاب العقل و اللغة، فإن ثمة إستراتيجية معينة نعملد إليها لغويا و عقليا، إما لإقناع أنفسنا، أو لإقناع غيرنا، وهذه الاستراتيجية هي الحججاج ذاته <sup>11</sup>.

### الحجاج بين الرافد و المحدث:

أولى العرب قديما و لاسيما البلاغيين منهم الكلام و التخاطب عناية كبيرة، فغمدوا إلى تقسيم وجوه الكلام و مناسباته عن المعنى فذلك هو الحججاج الذي يهدف إلى الإقناع، فلا غلو في القول بأن الحججاج بجذوره القوية في الخطاب العربي، فضلا عن الدور الذي لعبه الحججاج في الحياة العقدية و السياسية في البيئة العربية الإسلامية، و فضلا عن اعتماد البنية الحججائية في الخطاب البلاغي على نحو ما نرى دفاع عبد القاهر

الجرجاني عن إعجاز القرآن الكريم، بإقناع الناس بفكرة النظم"<sup>12</sup>، ظف إلى ذلك ما قدمه الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" وتشديده على الغرض اللفظي والبلاغة وهذا راجع إلى المرجعية الفكرية لديه وكان يركز على الفهم والإفهام والإبانة، والوضوح والفصاحة، واعتداده بالأفكار الجدلية والآراء الاستدلالية، ونحن نقف على الحجج لا يمكن أن نتجاوز إسحاق ابن وهب في كتابه "البرهان في وجوه البيان" الذي تعرض للجوانب المتعددة التي تحيط بالحجاج من بينها الجدل والمجادلة، وتحدث عن أدب الجدل، وأشار إلى البرهان، والاستدلال والقياس.... أيضا السكاكي والعسكري وغيرهم من البلاغين القدامى. تعود أهمية الحجج في الدراسة الحديثة إلى العودة القوية للبلاغة تحت ما يسمى البلاغة الجديدة، التي ركزت على جانبين أساسيين "البيان" والحجاج كوسيلة أساسية من وسائل الإقناع، فمنذ نهاية عقد الخمسينات في القرن العشرين عرفت مباحث الدراسات البلاغية صحوة نوعية، فكانت الدعوة إلى ما يسمى بالبلاغة الجديدة، وهي محاولة لإقامة علم عام لدراسة الخطابات بأنواعها، فأصبحت تسعى لأن تكون علما واسعا يشمل حياة الإنسان كلها في المجتمع، فهي محاولة لوصف الخصائص الإقناعية للنصوص، عملت اللسانيات والتداولية ونظريات التواصل على إنضاجها، فالمنهج اللسانية الحديثة التي تأثرت بها البلاغة، تنظر إلى اللغة كنسق تتفاعل عناصره في إطار علائقي، يرفض دراسة الكلمات في ذاتها، وقد انبثقت عن هذا كله البلاغة البرهانية الجديدة<sup>13</sup>.

#### علاقة البلاغة بالحجاج:

هناك الكثير ممن يعتبر أن الهدف من البلاغة العربية هو الزخرف والتزيين والتنميق في الكلام، إلا أن المتصفح لأهم مصادرها القديمة، يكشف أن الهدف منها هو الإقناع، فالغاية الرئيسية للبلاغة العربية هي غاية حجاجية بالدرجة الأولى.

لا تكاد تخلو كتب التراث الإسلامي من تداول مصطلح "حجاج" أو "الاحتجاج" أو "المحاجة" في عدة مجالات وخصوصا في المسائل ذات الطابع الفكري والفلسفي، التي كثيرا ما يعتمدها الخلاف في وجهات النظر، فهو مستعمل في علوم النحو واللغة والبلاغة الحديث والفقهاء والأصول وعلم الكلام... فقد عُدَّ الحجج من المصطلحات التي تعتنق عن التوقيع فقد عرفت العديد من التعريفات من بينها ما ذهب إليه أبو الوليد الباجي حين قال: " وهذا العلم من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنًا لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال، ويميز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا نصحت محجة ولا علم الصحيح من السقيم والمعوج من المستقيم"<sup>14</sup>، يظهر أن الحجج يصنف ضمن أحد من العلوم له أركانه وطرائقه، وجوهه المميزة له، المحددة لماهيته وغاية هذا العلم هو معرفة الحقيقة، والتمييز الدقيق بين الحق والباطل.

ولقد كان للحجاج حضوره في البلاغة العربية التي شكل البرهان والإقناع أحد أهم مباحثها، ويمكن القول إن البلاغة العربية ظل يتجاوزها جانبان أساسيان هما جانب التواصل والإبلاغ، وجانب الفن والجمال: الدلالة والإبلاغ بما يعنيه من دقة ومباشرة ووضوح وإقناع، والفن والجمال بما يفرضه من غموض وتخيل وإمتاع، والدليل على ذلك هو أن أغلب التعاريف التي أعطيت لها من قبل البلاغيين القدامى جاء على هذا

النحو، فأبو الهلال العسكري مثلا صاغ مفهوما خاصا بالبلاغة حيث قال: "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة و معرض حسن"<sup>15</sup> و قال في مورد آخر: "البلاغة هي التقرب من المعنى البعيد و التباعد عن حشو الكلام، و قرب المأخذ و إيجاز في الصواب، و قصد إلى الحاجة و حسن الاستعارة"<sup>16</sup> يتراء أن كلا المفهومين يحملان تعريفا واحدا للبلاغة و هو الوضوح و الكشف عن المعنى، في حين نجد الجاحظ في مدونه "البيان و التبيين" يورد بأن "جماع البلاغة البصر بالحجة و المعرفة لمواضع الفرصة أن تدعي الإفصاح بها إلى الكناية عنها، و إذا كان الإفصاح أوعر طريقة و ربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ من الدرك و أحق بالظفر"<sup>17</sup> و يقول في موضع آخر: "البلاغة اجتماع آلة البلاغة، و ذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح قيل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة و الملوك بكلام السوقة، و يكون في قواه فضلال التصرف في كل وظيفة"<sup>18</sup> و أورد الجاحظ أيضا ان ابن المقفع قال: "البلاغة اسم جامع لمعن تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت و منها ما يكون في الاستماع، و منها ما يكون في الإشارة، و منها ما يكون في الاستماع، و منها ما يكون في الإشارة و منها ما يكون في الاحتجاج"<sup>19</sup>، لا جرم أن هذه التعريفات التي أوردها الجاحظ تنحوا منحى المفهوم الذي قدمه العسكري فكلاهما يخولان البلاغة وظيفة إقناعية، و يذهب الجاحظ إلى الاهتمام بالخطاب الإقناعي الشفوي، الذي يقدم الغاية (الإقناع) على الوسيلة (اللغة) مع التزام المقام و الأحوال، يتضح بأن البلاغة تتطلب من المتكلم أن يعرف أقدار المعاني، و أن يوازن بينها و بين أقدار المستمعين. فلا غلو من أن البلاغة لا يكتمل تأثيرها إلا بتوفر عنصر الحجاج فيها، و هنا تكمن حاجة البلاغة إلى الحجاج، فهي في أول الأمر عتاد بنائي و تبليغي يوظفه الخطيب أو القائل لطرح آرائه و قناعاته من أجل كسب الإذعان من المتلقي و التأثير فيه، إلا أن الصور المجازية و اللغوية لا تكفي لتحقيق الهدف، أن نعتد بأدوات يوفرها الحجاج ليكتمل البناء، و يصل الخطاب إلى الأهداف المقصودة<sup>20</sup>

### المصطلح الحجاجي عند أقطاب البلاغة العربي:

من أهم الظواهر الدالة على البعد الحجاجي في البلاغة العربية تلك المصطلحات التي يغلب عليها طابع البرهان و الحجاج و الإقناع، فهذه المصطلحات تركز على الحجة و الإقناع، فقد عرف المصطلح الحجاجي أوجه مختلفة عند البلاغيين العرب، باعتبار الحجاج يقوم على تقديم الحجج و الأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، و هو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، بعضها بمثابة الحجج اللغوية و بعضها بمثابة النتائج التي تستخلص منها.

لا جرم أن كتب التراث الإسلامي عرفت تداول مصطلح "الحجاج" و "الاحتجاج" سواء كان هذا المصطلح ظاهرا أو مضمرا فهذا ما سنقف عنده من خلال ما سيأتي:

### أ. آلة البلاغة عند الجاحظ:

لقد عاش الجاحظ في زمن صاحب بالجدل و المساجلات، و النظر و المقابسات، فتشرب النص القرآني، و المعارف الوافدة التي ساهمت في صقل منهجه الذي اعتمد على "الأدوات المنطقية و الآليات البرهانية و الحجج العقلية، و هذا الأمر يظهر جليا في خطابه و مدونته الموسوعية الزاخرة بالأفكار الجدلية

و الآراء الاستدلالي، و اللغة البيانية<sup>21</sup>، فلا يختلف اثنان بأن الجاحظ كان معتزلي؛ مما جعله يعتبر اللغة و البلاغة هما سلاح المناظرين و المجادلين، الذين يبتغون الإقناع بتوجه مذهبهم.

تعود أصول الحجج عند الجاحظ إلى علم الكلام القائم على البرهنة العقلية، حيث يؤسس مواقفه الكلامية على براهين نظرية داعمة و مؤيدة<sup>22</sup>، فقد ورد هذا المصطلح واضحاً في مقامات متعددة حين ربط البلاغة بهدف إقناعي منها قوله: "الاحتجاج على أرباب النحل و مقارعة الأرباب"<sup>23</sup>

ونجد الجاحظ يركز على بلاغة الكلام و الخطابات باسم "البيان" الذي يورده قائلاً: "مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القارئ و السامع، إنما هو الفهم و الإفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام و أوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"<sup>24</sup>، يتراء من خلال هذا القول أن من أوجه العملية الحجاجية الإبانة عن المقاصد و التعلق بأغراض و حاجات تجعل منه وسيلة إجرائية تحقق الرباط المطلوب بين المتكلم و المستمع.

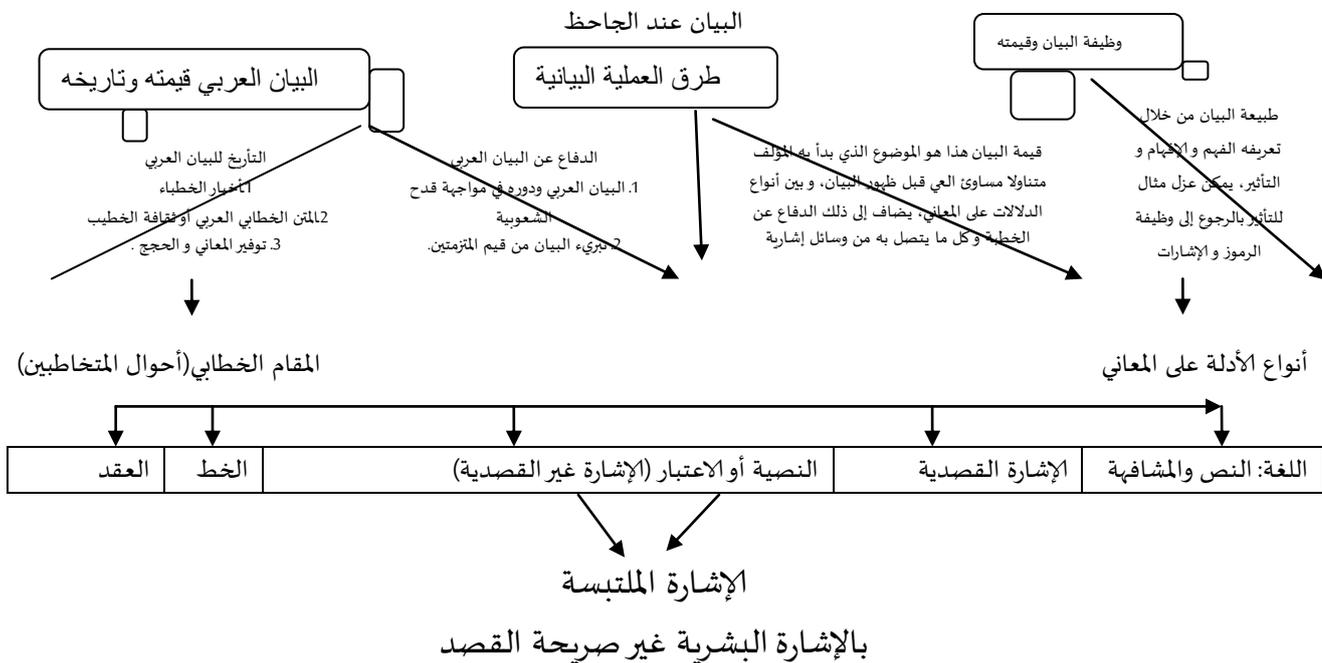
إن الانجاز الكلامي لا يتم عبثاً بل لتحقيق غايات منطلقها الأول الفهم و التبيين، و من ثم فلا كلام بدون وظيفة، و الوظيفة هي الرحي في أي تبليغ لغوي، إنها غاية ما يروم المتكلم من السامع"<sup>25</sup>، يتراء بأن البلاغة كانت تركز على مقاصد المتكلم التي من خلالها يقع الفعل الكلامي الذي يتميز بالإفهام و التبيين، و يرد الإفهام عند الجاحظ بأنه "هو خلو الكلام من اللجلجة و التمتمة و اللثغة و الفأفة و التقعير و التشديق"<sup>26</sup>، و تخير الألفاظ المناسبة مع المقام و السامع مع الحرص على ابانة المعنى. فلا جرم أن البلاغة تغدو وسيلة للتأثير على المستمع، و الظهور عليه و إقناعه بالرأي.

فالقول البليغ منذور لتحويل حياة المتلقي أو معارضته إلى تجاوب، في هذا يورد الجاحظ ما التمسه موسى بن عمران من ربه، حين استبدت به الرهبة من فرعون ((و أخي هارون أفصح مني لساناً فأرسله معي رداً يصدقني))، و يعقب الجاحظ على رغبة موسى "في غاية الإفصاح و المبالغة في وضوح الدلالة لتكون الأعناق إليه أميل و العقول عنه أفهم و النفوس إليه أسرع"<sup>27</sup>

فلا ريب من أن الإفهام هو المعنى القائم في النفس حتى يدركه الآخر، و الإقناع ناتج عن مجموع مؤهلات و صفات انتقاها محمد العمري من كتاب "البيان و التبيين" للجاحظ التي تصور استمالة القلوب و ميل الأعناق و التصديق و فهم العقول، و استمالة النفوس و غيرها من الصفات و الأغراض، حيث أوردها كما يلي:<sup>28</sup>

| الغرض          | صفات البيان و موضوعه |              |
|----------------|----------------------|--------------|
|                | الموضوع              | الصفات       |
| استمالة القلوب | الدعوة إلى مقالة     | الإبلاغ      |
| الإقناع        | الإبلاغ عن نحلة      | الإبانة      |
| التصديق        | إبلاغ الرسالة        | الإفصاح      |
| ميل الأعناق    | الحجة                | الفصاحة      |
| فهم العقول     | المنازعة             | الوضوح       |
| إسراع النفوس   |                      | الصحة        |
| الاستمالة      |                      | البيان       |
| الاضطرار       |                      | حسن التفصيل  |
| التحريك        |                      | الأيضاح      |
| حل الحيرة      |                      | وضوح الدلالة |
|                |                      | الإفهام      |
|                |                      | الفهم        |
|                |                      | الاحتجاج     |

لقد أورد الجاحظ مصطلح "البيان" الذي يمثل الصدارة في العملية الحجاجية، فعدد مواصفاته و موضوعاته التي تراوحت بين "الإبلاغ و الإفصاح، و الإفهام، و الوضوح....." و أورد من جانب آخر الغرض من هذه المواصفات و الموضوعات التي تقوم على "تحريك النفس، و الاستمالة، و حل الحيرة، و التصديق و الإقناع....." فلا جرم من أن هذه المواصفات و الأغراض تعمد إلى تيسير العملية الحجاجية و بالتالي الإفهام و الإقناع، مع مراعات المقام و هذا ما أولاه الجاحظ اهتماما خاصا حين قال: "و المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، و كذلك ليس يتضع من المعاني العامة، و إنما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة مع موافقة الحال و ما يجب لكل مقام من المقال"<sup>29</sup>، تكون مراعاة المقام شرطا لازما في كل تواصل بياني و أورد أيضا محمد العمري مخططا يختصر فيه الإفهام و الإقناع و هو كالآتي:<sup>30</sup>



نخلص إلى أن الجاحظ ركز على الخطاب البلاغي من جانبه الحجاجي و الإقناعي و الافهامي، مع التركيز على المقام و أحوال السامعين، وركز أيضا بصورة ملحة على اللفظ المنتقى و حتى صفات الخطيب الذي يقدم الحجج بغية إقامة العملية التواصلية التي تهدف إلى الإقناع و التأثير في المتلقي أو السامع و حدوث فعل الاستجابة، و المصطلحات التي أوردها الجاحظ و تصب في سيل الحجج بين الصفات و الموضوعات و الغايات كما فصلنا فيها سالفا.

### ب. بيان الحجة عند اسحاق بن وهب:

غير بعيد عن الأفق البياني الذي تميز به الجاحظ، ألف إسحاق بن وهب كتابه المسمى "البرهان في وجوه البيان"، الذي أولى أهمية بالغة "للبيان" تضاهي القيمة التي أولاه إياه الجاحظ، باعتباره وجهها من أوجه الحجج التي تعمل على نجاح العملية الإقناعية، " فقسم ابن وهب البيان إلى أربعة أوجه بيان الأشياء بذواتها، و يسميه بيان الاعتبار، و البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر؛ و يسميه بيان الاعتقاد، و البيان باللسان و يسميه؛ بين العبارة و أخيرا البيان بالكتاب"<sup>31</sup>، و يظهر ذلك في دفاعه عن البيان المعرفي الذي يستشف من العمليات العقلية، و البيان عنده إقناعي، بحيث لا يقوم إلا بدليل أو شاهد.<sup>32</sup> و يصنف ابن وهب الحجج في مورد آخر ضمن أنواع النثر، فورد هذا المصطلح صريحا في موضع مضمرا في موضع آخر فقال: " فأما المنثور فليس يخلو أن يكون خطابة أو ترسلا أو احتجاجا أو حديثا، و لكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه"<sup>33</sup>.

في موضع آخر ربط الحجج بالجدل و المجادلة حين قال: " أما الجدل و المجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين ..."<sup>34</sup>، فالجدل عند ابن وهب خطاب تعليلي إقناعي " فإذا كان الجدل إظهار الحجة التي تقنع فالغالب هو الذي يظهر ذلك"<sup>35</sup> يتراء من خلال هذا القول أن ابن وهب وضع مصطلح الحجج تحت اسم الجدل، فهو يقع في العلة من بين سائر الأشياء و ينبغي للمجيب أن يقنع، و أن يكون إقناعه يوجب على السائل القبول، و أدرج ابن وهب في نفس السياق التمييز بين الجدل المحمود و المذموم أو ما يعرف بأخلاق الجدل أو أدب الجدل، و هذا ما يمكن تصنيفه الآن ضمن الاستراتيجيات الاتصالية الحجاجية .

أولى ابن وهب قيمة للاستدلال و الإقناع التي ارتبطت بالاتجاه الخطابية، " فالظاهر مستغن بظهوره عن الاستدلال عليه و الاجتماع عليه لأنه لا خلاف له، و الباطن هو المحتاج إلى أن يستدل عليه بضروب الاستدلال"<sup>36</sup>، فابن يذهب إلى أن الاستدلال يتدخل في " الخفي" بغية إظهاره، ضف إلى ذلك اهتمامه بالقياس حين قال: " و ليس يجب القياس إلا عن قول يتقدم فيكون القياس نتيجته، كقولنا إذا كان الحي حساسا متحركا فالإنسان حي ..."<sup>37</sup> مما يتراء أن ابن وهب أولى أهمية للقياس في مواضع الاختلاف و الالتباس، ضف إلى ذلك أنه ركز أيضا على " الشاهد" في إقامة الحجة و حتى إقناع السامع، يقول في ذلك: " و أما الظن فإنه و إن قويت شواهدة و عضده من الرأي ما يوجبه فإنما يجب العمل عليه"<sup>38</sup>؛ فابن وهب في هذا الصدد يبتعد عن الغلو في رفض الظن الذي يقام بشاهد تثبت صحته.

لا غرو أن ما يثبت جليا أن المصطلح الحجاجي جاء صريحا في أغلب المواقف عند ابن وهب، وهذا ما جعل السمة الاقناعية تخب على الخطاب البلاغي عنده، فورد المصطلح الحجاجي عند ابن وهب "الحجاج، الاحتجاج، البيان، الجدل و المجادلة، القياس الاستدلال، الشواهد....." فكان هذا الجهاز المفاهيمي الذي توسم به مشروعه البلاغي.

### ج السكاكي و المصطلح الحجاجي:

وصلت البلاغة العربية مرحلة التقعيد مقترنة بالجمع و التصنيف فيستوقفنا في هذه المرحلة مفتاح العلوم للسكاكي الذي قسمه إلى ثلاثة أقسام ؛ علم الصرف، علم النحو، علمي المعاني و البيان، فقد ارتبطت البلاغة بالمنطق عند السكاكي مما جعل بعض جوانب بلاغته اقناعية، و ذلك ما يفصح عنه تصوره للبلاغة و مباحثها، و اهتمامه بالمقام و المستمع، و انتباهه للاستدلال و اللزوم في البيان<sup>39</sup> عمل السكاكي على بناء بلاغة الخطاب على نظام استدلالي و ليس على المنزع البديعي، بحيث يصبح البيان مؤسسا على نظام العقل، مما يجعل البلاغة معرفة و استدلالا، يتراء بأن السكاكي لا يكتفي بالتخييل أو الأسلوب الفني في البلاغة، بل يستقي الأفكار التي تستدعي إعمال العقل و بالتالي استحضار الدليل و الاستدلال<sup>40</sup> فيقول في هذا الصدد: و عندك علم أن مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها، و شعبة فردة من دوحتها، علمت أن تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي و معرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني و البيان"<sup>41</sup> ، ضف إلى ذلك أنه أولى أهمية لعلم النحو في العملية الاقناعية و هذا ما أخذت به الدراسات الحديثة فيما يعرف بالعوامل و الروابط الحجاجية.

لا جرم أن بلاغة السكاكي طبعت بالنجاعة التواصلية و البعد الإقناعي، باعتبارها ركزت على المقام و المستمع، و جعلتهما مدار علم البيان و المعاني، حيث يؤكد السكاكي على طبيعة المقام، و فعالية القول، في مناسبه لمقتضى الحال، يورد في هذا قوله: " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكريبين مقام الشكاية، و مقام التهنئة يبين مقام التعزية ..... و مقام البناء على السؤال يغير مقام البناء على الإنكار"<sup>42</sup> ، يركز السكاكي على المقام الخارجي للمقال زيادة على ذلك يركز على العلاقات بين المكونات اللغوية حين قال: " لكل حد ينتهي إليه الكلام مقام .... فلكل كلمة مع صاحبها مقام"<sup>43</sup>.

و يركز السكاكي في موقف آخر على " مقصدية "؛ أي الاهتمام بالمستمع مع ما يتماشى و حال المخاطب و يجيب عن حاجاته<sup>44</sup> ، فيقول في هذا الصدد: " فإذا اندفع المتكلم في الكلام مخبرا لزم أن يكون قصده إفادة للمخاطب"<sup>45</sup> فلا بد أن تتماشى صيغة القول مع حاجة المستمع.

من خلال الاهتمام الذي أولاه السكاكي بالمقام و المستمع و مقصدية القول مع مراعاة أحوال المستمعين يكون قد ربط البلاغة بالمقصد الإقناعي، فالأغلو من القول بأن المصطلح الحجاجي كان واردا في التفكير البلاغي عند السكاكي فشمّل: " الاستدلال، الأدلة، المقام، المقصدية، مقتضى الحال، الروابط الحجاجية و إن كان هذا الأخير من المصطلحات المضمرة.

## د. الحجاج عند حازم القرطاجني:

لا جرم أن حازم القرطاجني قد زواج بين مصادر الثقافة العربية واليونانية في معالجته للقضايا البلاغية والنقدية، غير أن الأصول العربية كانت أكثر اعتماداً، فمن خلال كتابه "منهاج الأدباء و سراج البلغاء" ورد المصطلح الحجاجي في عدة مواضع، فيقول: "لما كان كل كلام يحتمل الصدق والكذب، إما أن يرد على جهة الإخبار والاختصاص وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال"<sup>46</sup>.

الاستدلال والاحتجاج والإقناع في المناهج الدراسات الأدبية عند حازم القرطاجني ركيزة الخطاب في مقابل التخيل الذي هو الركيزة الأساسية في الشعر



كذلك ميز القرطاجني بين طريقتين لإقناع الخصم وهما التموهيات والاستدراجات، وهما من الاستراتيجيات المهمة في عملية الإقناع قائلاً في هذا الصدد: "التمويهات والاستدراجات قد توج في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات إلى تقوية الظنون مع أنه على غير ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرب في احتدائها"<sup>48</sup> من الاستراتيجيات الحجاجية التي تهدف إلى إقناع الخصم نجد التموهيات والاستدراجات "فالتمويهات تكون فيما يرجع إلى الأقوال، والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله، أو استمالة المخاطب واستلطافه له بتزكيته وتقريظه..."<sup>49</sup>.

نحمل القول عن المصطلح الحجاجي عند حازم القرطاجني باعتباره قسم الأدب إلى خطاب وشعر فغاية الشعر التخيل في حين أن غرض الخطاب هو الإقناع، فأشار إلى حقل مفهومي قام على الحجاج، والاحتجاج، الاستدلال، التموهيات والاستدراجات.

نخلص في الأخير إلى أن البلاغة العربية تجاوزت القيمة التخيلية والفنية إلى القيمة الإبلغية والافهامية للخطاب وذلك عن طريق الحجاج الذي يهتم بتقديم الحجج والأدلة والبراهين التي تؤدي إلى نتيجة معينة، وبالتالي لا غلو من القول أن للحجاج حضوره في البلاغة العربية التي شكل البرهان والإقناع أحد أهم مباحثها، ويمكن القول إن البلاغة العربية ظل يتجاذبها جانبان أساسيان هما جانب التواصل والإبلاغ، وجانب الفن والجمال؛ الدلالة والإبلاغ بما يعنيه من دقة ومباشرة ووضوح وإقناع، والفن والجمال بما يفرضانه من غموض وتخيل وإمتاع، فمن البلاغيين الذين أعطوا اهتماماً بالغاً لهذا الموضوع نجد الجاحظ، ابن وهب، السكاكي، والعسكري، وحازم القرطاجني؛ فعرف هذا الموضوع . الحجاج . جهازاً مفاهيمي يتضمن العديد من المصطلحات وردت في مؤلفات أقطاب البلاغة العربية منها: الحجاج، الاحتجاج، والمحاكاة، الجدال، والمجادلة، القياس والبرهان والاستشهاد، والاستدلال .....

## قائمة المصادر والمراجع:

- . ابن المنظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط1، مج2، 1990
- . أبو الحسن إسحاق ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تج: محمد شرف، مطبعة الرسالة مصر
- . أبو القاسم محمود بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، دط.
- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تج: عبد المجيد التركي، دار المغرب الإسلامي، المغرب، ط2، 1987
- . أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تج: محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت
- . أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، دار الجيل بيروت، ط1، مج2، 1991.
- . الجاحظ، البيان والتبيين، شر: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت
- . حازم القرطاجني، منهاج الأدباء وسراج البلغاء، تج: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1986، 3.
- . حبيب أعراج، الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر الاستقصاء النظري، عالم الفكر، ع1 مجلد 2001، 3.
- . طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000.
- . عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف الرباط ط1، 2013.
- . عمر أوكان، اللغة الخطاب، افريقيا الشرق، المغرب، 2001
- . عمر بوقمرة، الأفق الحجاجي في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، علم الكتب الحديث، الأردن، 2017
- . محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتدادها، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1999 ص 198
- محمد مكسي، استراتيجيات الخطاب الديدكتيكي، منشورات رمسيس، الرباط، 1998 م
- . هيثم سرحان، الحجاج عند الجاحظ "بحث في المرجعيات والنصيات والآليات" المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ع/115 2011..
- . السكاكي، مفتاح العلوم تج: نعيمة زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، ط1987، 2.
- . عيسى حياشة، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة أبحاث في اللغة والادب الجزائري بسكرة، ع2013، 9.

## الهوامش:

1. محمد مكسي، استراتيجيات الخطاب الديدكتيكي، منشورات رمسيس، الرباط، 1998 م، ص 23
2. ابن المنظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط1، مج2، 1990، ص 228.
3. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، دار الجيل بيروت، ط1، مج2، 1991، ص 30.
4. أبو القاسم محمود بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ص 113.
5. الآية (66) آل عمران.
6. الآية: (80) الأنعام.
7. الآية: (16) الشورى.
8. الآية: (47) غافر.
9. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص 65.
10. المرجع نفسه، ص 65.
11. ينظر: عمر بوقمرة، الأفق الحجاجي في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، علم الكتب الحديث، الأردن، 2017، ص 99
12. محمد العيد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الاقتناع، ص 45.
13. عيسى حياشة، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة أبحاث في اللغة والادب الجزائري بسكرة، ع2013، ص 268.
14. أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تج: عبد المجيد التركي، دار المغرب الإسلامي، المغرب، ط2، 1987، ص 08.
15. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تج: محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص 10.
16. المصدر نفسه، 47.
17. الجاحظ، البيان والتبيين، شر: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، دط ص 88
18. المصدر نفسه، ص 69.
19. المصدر نفسه، ص 115.

- <sup>20</sup>. حبيب أعراج ، الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر الاستقصاء النظري، عالم الفكر، ع1 مجلد2001، 3، ص62.
- . هيثم سرحان، الحجاج عند الجاحظ "بحث في المرجعيات و النصيات والآليات " المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ع/115، 2011، ص58.
- <sup>21</sup>. المصدر نفسه، ص60.
- <sup>22</sup>. الجاحظ، البيان والتبيين، ص14.
- <sup>23</sup>. المصدر نفسه، ص76.
- <sup>24</sup>. ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف الرباط ط1، 2013، ص62.
- <sup>25</sup>. الجاحظ البيان والتبيين، ج1، ص15.
- <sup>26</sup>. المصدر نفسه، ج1 ص7.
- <sup>27</sup>. محمد العمري، البلاغة العربية أصولها و امتدادتها، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1999 ص198.
- <sup>28</sup>. الجاحظ ، البيان والتبيين، ص81.
- <sup>29</sup>. المرجع السابق، ص199.
- <sup>30</sup>. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص68.
- <sup>31</sup>. ينظر المرجع نفسه ، ص69.
- <sup>32</sup>. ابو الحسن اسحاق ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: محمد شرف، مطبعة الرسالة مصر، ص68.
- <sup>33</sup>. المصدر نفسه، ص222.
- <sup>34</sup>. المصدر نفسه، ص225.
- <sup>35</sup>. المصدر نفسه ، ص150.
- <sup>36</sup>. ينظر: المصدر نفسه، ص68.
- <sup>37</sup>. المصدر السابق، ص87.
- <sup>38</sup>. ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص75.
- <sup>39</sup>. ينظر: المرجع نفسه، ص76.
- <sup>40</sup>. ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم تح: نعيمة زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، ط1987، 2، ص7.
- <sup>41</sup>. ينظر: المصدر نفسه، ص168.
- <sup>42</sup>. المصدر نفسه، ص168.
- <sup>43</sup>. ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص77.
- <sup>44</sup>. ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم ص170.
- <sup>45</sup>. حازم القرطاجني، منهاج الأدباء وسراج البلغاء، تح محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1986، 3، ص62.
- <sup>46</sup>. عمر أوكان، اللغة الخطاب ، افريقيا الشرق، المغرب، 2001، ص118.
- <sup>47</sup>. حازم القرطاجني، منهاج الادباء وسراج البلغاء، ص63.
- <sup>48</sup>. المصدر نفسه، ص64.
- <sup>49</sup>.